المحور الثاني

أهمية التراث الثقافي

تعترف اليونيسكو بأهمية زيادة الوعي حول التراث، من خلال إنشاء الوكالات والمؤسسات التي تهتم بضرورة المحافظة عليه، كما وتشجع الباحثين من مختلف المناطق على استكشاف وتأريخ التراث المدفون وذلك لما يحتله من أهمية متعددة الأوجه(المطلب الأول)، وهذا ما يستدعي حماية الممتلك الثقافي لاسيما المادي من عوامل التلف والأخطار التي تهدده(المطلب الثاني).

المطلب الأول: أهمية التراث الثقافي

لا شك أن التراث هو من أكثر الأشياء التي تعطي ملامح متميزة لكل أمة، هو جزء من هويتها، وهو الذي يوضح كيف بنت أمجادها وما هي الأسباب التي أدت لاستمرارها أو انحدارها، فمن ليس له ماض، لا يمكنه استشراف مستقبله، **والجزائر نظرا لشساعة مساحتها و لكونها ملتقى لعدة حضارات قديمة، فهي تحوي تراث تاريخي مادي و غير مادي جد ثري. ولا أحد ينكر أنّ العدد الهائل للمعالم و المواقع الأثرية المتعددة التي يزخر بها بلدنا ، تعد شاهدا حيا على مختلف الحقب الثقافية و الحضارية (ما قبل التاريخ ،البونيقية ، النوميدية ، الرومانية ، البيزنطية ، الإسلامية و التركية ، الحديثة م المعاصرة) و كذا استمراريتها في حوض البحر الأبيض المتوسط.**

إذ تكمن أهمية التراث –عموما- في العديد من الجوانب سنتناول الأهمية المشتركة بين التراث الثقافي المادي واللامادي من جهة، ونعرّج بعدها للأهمية الخاصة التي يمتاز بها التراث الثقافي اللامادي من جهة أخرى.

الفرع الأول: أهمية التراث الثقافي عموما

أولا: الأهمية الدينية للتراث الثقافي

لقد كانت المجتمعات والعصور القديمة تكن للممتلكات الثقافية احتراما كبيرا، ويرون في ذلك تعبيرا عن المطامح الروحية، إذ كانت الانتاجات الفنية مقدسة لاتصالها االوثيق بالمعتقدات الدينية، وهذا ما عزز مسألة حمايتها؛ علاوة على أن الإنسان في ذلك الوقت كان يرغب

في تخليد إنجازاته، وإبقاء روحه للأجيال القادمة، فأقام النصب الشامخة من الحجر والمعدن والمدافن الكبيرة.

كانت المواد المقدسة تُوضع في المعابد؛ مما يُحظر التعدي عليها، فالحضارة الفرعونية مثلا آمنت بفكرة الحياة بعد الموت، لذا هيأ الفراعنة قبور موتاهم بأثمن الأشياء والوسائل التي يمكن أن يستخدمونها بعد بعثهم.

أما حاليا فما زال التراث الثقافي يحظى بأهمية دينية؛ مثلا الدلالة الرمزية للمسجد الأقصى والكعبة عند المسلمين، وحائط المبكى والمعابد لدى اليهود، وبيض عيد الفصح عند المسيحيين.

انّ المعتقدات الدينية المرتبطة بالممتلكات الثقافية تعد الأبرز تعبيرا وبرهانا على الانتماء الحضاري للأفراد[1].

وللتراث الثقافي أهمية كبيرة في الإسلام، فقد أمرنا الله عزّ وجلّ بالنظر في آثار الماضيين والتدبر فيها والاعتبار منها، وذلك في مواضع عديدة من القرآن الكريم؛ منها قوله تعالى: **(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)**[2].

وأيضا قوله جلّ وعلا: **(فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ)**[3].

الفرع الثاني: الأهمية المادية والاقتصادية

[1]-هشام بشير وعلاء الضاوي سبيطة، **المرجع السابق**، ص ص26-27

[2]-سورة الروم، الآية 9.

[3]-سورة الحج الآية 45.

أولا: الأهمية المادية للتراث الثقافي

يُعد إدراك القيمة المادية للأعيان، وخاصة الآثار مسألة قديمة، ولعل أول من تنبه لذلك هو الملك البابلي " نبوخذ نصر"[4]، الذي جمع التماثيل والتحف التاريخية التي جلبها من المدن التي احتلها، ووضعها في قصر شيده لهذا الشأن، وسماه بـ"**مخلفات شعوب العالم**".

لقد كانت التحف والحلي الوسيلة الأساسية للتهادي بين الملوك في العصور القديمة، ومظهر من مظاهر العظمة والتفاخر، نظرا لقيمتها المادية، باعتبار أن امتلاكها يمنح صاحبها مكانة اجتماعية مرموقة[5].

ثانيا: الأهمية الاقتصادية للتراث الثقافي

الآثار هي مورد هائل من الموارد الاقتصادية، وذلك لأنها عامل مهم من عوامل تشجيع السياحة في الدول على اختلاف ثقافتها، ويحاول السياح دائما للذهاب إلى البلاد التي تتمتع بتنوعها الثقافي والتي تحمل وجودها متعددة للحضارة، لذا فالبلاد التي تحوي على قدر هائل من مشاهد التراث القديم تعتبر هي أكثر الدول الجاذبة للسياحة، وبالتالي تحصل على قدر أكبر من الاستفادة المادية[6].

كما ويساعد التراث على زيادة معدلات التنمية في البلاد، والتي تساهم في تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية[7]؛ وذلك من خلال خلق فرص عمل، وزيادة تداول النقد الأجنبي وجذب العملة الصعبة، وتطوير البنية التحتية المهنية[8].

واستنتاجا مما سبق يمكن الجزم بأن القيمة الاقتصادية للممتلكات الثقافية أصبحت علما قائما بحد ذاته، له مختصون يقومون بدراسة الجدوى الاقتصادية لتحقيق حماية الممتلك الثقافي من الاندثار أو التلف بأفضل مردود مالي، دون تقصير أو تبذير.

---

[4]-"نبوخذ نصر" هو الإبن الأكبر لـ"والنبوبو لاسر"، والذي حسب المؤرخ الكندي "بيروسوس" حوّل بابل من الاحتلال الأشوري إلى امبراطورية عظيمة/، أنظر في ذلك ويكبيديا

[5]-هشام بشير وعلاء الضاوي سبيطة، **حماية البيئة والتراث الثقافي في القانون الدولي**، ط1، المركز القومي للإصدارات القانونية، القاهرة، مصر2013، ص85.

[6]-شيماء لطفي، **من أهم جوانب أهمية التراث 3**، دليل التعليم الأول بالشرق الأوسط، موقع :Edarabia، تم تصفح الموقع بتاريخ 12 02، 2020 على الساعة 13:40:
https://www.edarabia.com/ar/5/معلومات-عن-أهمية-التراث-في-حياة-الشعوب-

[7]-محمد مروان، **ما هي أهمية التراث؟**، موقع موضوع، تم التصفح بتاريخ 2020/2/12 على الساعة 14:00:
https://mawdoo3.com/ما_هي_أهمية_التراث

[8]-كريم سعيدي، **المرجع السابق**، ص39.

ثالثا: الأهمية الحضارية للتراث الثقافي

يُعرف "حسين مؤنس" **(الحضارة)** بأنها: (ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته...وهو ما يعني الحاجة إلى التراث والحاجة إلى الحفاظ عليه ودراسته لتحقيق هذه التراكمية المؤدية إلى صناعة الحضارة)[9]، فالتراث مظهر من مظاهر الحضارة، كما يعتبر مقياسا يعكس مستوى تلك الحضارة، هذا ما يتجلى من خلال النقاط التالية:

أ-**التراث يمنح الطابع المميز للأمة:** يعتبر التراث مكونا أصيلا يتصل بشخصية الأمة، ويطبعها بختم يُميزها عن دونها من الأمم، بالنظر إلى درجة تقدمها في العلوم والفنون، ومستوى الحس الإبداعي، وقدرة الأمة على حل مشاكلها الخاصة...الخ.

ب-**التراث ينقل معاني وقيم ورسائل مختلفة عبر العصور:** يُسهم التراث في إعطاء صورة ذات كيان مادي ملموس، مقترن بمحتوى روحي عن حياة الشعوب، وذلك من خلال ما يضمه من معان عديدة؛ تاريخية، فنية، سياسية، دينية، اجتماعية، روحية، علمية، طبيعية وغيرها. فمثلا تعطي المواقع الأثرية والمتاحف فكرة عن أسلوب عيش الإنسان في الماضي، كذلك **"مدينة البتراء"** في الأردن تُبهر زائريها بحسن هندسة المياه فيها وجمال بنيانها. وقبة **"جينباكو"** في هيروشيما في اليابان تشهد على الآثار المأساوية التي خلّفتها القنبلة النووية، وهي شاهد على ضراوة الحروب، كما أنّ الجسور المعلقة بقسنطينة، وكهوف الطاسلي بالهقار شاهد حيّ على براعة الإنسان القديم في تطويع بيئته وطبيعته القاسية.

ج-**الحفاظ على التراث الثقافي هو حفاظ على هوية الإنسان والمجتمع:** تتفق مختلف الثقافات بأن عنصري الروح والمادة هما المكونان الأساسيان لحياة الإنسان والمجتمع، فهناك الجانب المادي الاقتصادي، وهناك الجانب الروحي بما فيه التراث الثقافي، الذي يمثل الذاكرة الحية للفرد والمجتمع، فتعرف العديد من البلدان بمعلم معين أو موقع يميزها؛ فإيطاليا تُعرف ببرج بيزا المائل، وفلسطين بالقدس، والعراق ببلاد الرافدين، ومصر بالأهرامات، والجزائر بثورة التحرير ومليون ونصف مليون شهيد، والأمثلة عديدة في هذا المجال، وشهد التاريخ أن مواقع ومعالم ثقافية استهدفت بقصد تدميرها؛ وبالتالي تدمي هوية الأمة كم حدث في النزول الأمريكي بالعراق في 2003.

رابعا: الأهمية الخاصة للتراث الثقافي

[9]-كريم سعيدي، **المرجع السابق**، ص38.

إنّ الشعوب التي تفتقر للرصيد التراثي، رغم تطورها العلمي، تسعى دوما إلى زيارة المتاحف والأماكن الأثرية والنصب التذكارية، وتتحمل في سبيل ذلك بعد المسافة ومتاعب السفر، وهذا لتعويض النقص الفادح لديها في التراث، الذي يشعرها بالانتماء والامتداد والفخر.

علاوة على أنّ التراث الثقافي فريد من نوعه وغير قابل للتجديد؛ حيث إذا أُتلف ما يحمله من معان، لا يمكن تعويضه، فالأعمال البارزة للإنسان لا يمكن إعادتها إلى أصالتها بعد تدميرها[10].

الفرع الثاني: أهمية التراث الثقافي اللامادي على وجه الخصوص

يُوصف التراث الثقافي غير المادي بأنّه " وعاء ذوبان للتعبير الإبداعي وقوة دافعة للثقافات الحية"[11] ، ويُشكل بذلك، بالرغم من طابعه الهش، عاملا مهما في الحفاظ على التنوع الثقافي في مواجهة العولمة المتزايدة، مما ينبغي على المعنيين في كل بلد الاهتمام به وتوثيقه وحمايته من الضياع والنسيان، لاسيما أنه تراث روحي أو معنوي، فإهماله يجعله يُنسى تدريجيا، وقد يجيء زمن لا يُذكر عنه شيئا كأنه لم يكن يوما، ويفقد بذلك خصوصيته وهويته التراثية لانتفاء صفة الاستمرارية، بسبب صعوبة حفظه، ففهم التراث الثقافي غير المادي للمجتمعات المحلية المختلفة يساعد على الحوار بين الثقافات، ويشجع على الاحترام المتبادل لطريقة عيش الآخر[12].

ونظراً لأهمية هذا النوع من التراث فقد أولته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة "اليونسكو" عنايتها، بعد التوصيات التي قدمت لها عام 1989 لغرض حماية الثقافات التقليدية للشعوب في الوقت الذي كان التراث العالمي يتجه أساسا الى الجوانب المادية للثقافة[13].

---

[10]-اليونسكو-ايكروم، **تعريف الشباب بحماية وإدارة مواقع التراث: دليل عملي لمعلمي المدارس الثانوية في المنطقة العربية**، د.ط، طباعة مكتب اليونسكو، عمان، الأردن،2003، ص15.

[11]-أسماء محمد مصطفى، أسماء محمد مصطفى، **التراث الثقافي غير المادي وأهمية صونه وحمايته من الاندثار**، صحيفة المثقف، العدد 4908، الأربعاء 2020/02/12:
http://www.almothaqaf.com/index.php/derasat/899826.html.

[12]-أسماء محمد مصطفى، **المرجع الالكتروني السابق.**

[13]- حماية الأنشطة الشفهية التراثية في ساحة جامع الفنا في مراكش المغرب هي التي ألهمت اليونسكو لاتخاذ وتبني مبادرة تسمية وتصنيف روائع التراث الشفهي اللامادي للإنسانية.

إنّ أهمية التراث الثقافي غير المادي لا تكمن في تمظهره الثقافي بحد ذاته؛ وانما في المعارف والمهارات الغنية التي تنقل عبره من جيل لآخر، وهي ترتبط بمميزاته الخاصة التي يتجاوز فيها حدود الأهمية المشتركة مع التراث الثقافي المادي على النحو التالي:

1- **تراث تقليدي ومعاصر وحي في الوقت نفسه**: فهو لا يقتصر على التقاليد الموروثة من الماضي فقط، وإنما يشمل أيضاً ممارسات ريفية وحضرية معاصرة تشارك فيها جماعات ثقافية متنوعة.

2- **تراث جامع**: ذلك أنّ أشكال التعبير المنبثقة عن التراث الثقافي غير المادي التي نمارسها قد تكون مشابهة لأشكال التعبير التي يمارسها الآخرون ، وسواء أكان هؤلاء من قرية مجاورة أم من مدينة تقع في الجانب الآخر من العالم، أم هم جماعات هاجرت واستقرت في مناطق مختلفة، فإنّ كل أشكال التعبير التي يمارسونها تعد تراثا ثقافيا غير مادي، فهي أشكال للتعبير توارثتها الأجيال وتطورت استجابة لبيئاتهم، وهي تعطينا إحساساً بالهوية والاستمرارية وتشكل حلقة وصل بين ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا.

ولا يثير التراث الثقافي غير المادي أسئلة عما إذا كانت بعض الممارسات خاصة بثقافة ما أم لا، فهو يسهم في التماسك الاجتماعي ويحفز الشعور بالانتماء والمسؤولية، الأمر الذي يقوي عند الأفراد الشعور بالانتماء الى مجتمع محلي واحد او مجتمعات محلية مختلفة، وبأنهم جزء من المجتمع ككل.

3- **تراث تمثيلي**: فهو لا يقيَّم باعتباره مجرد سلعة ثقافية أو لطابعه المتميز أو الاستثنائي على وفق سلّم المقارنات، بل يستمد قوته من جذوره في المجتمعات المحلية ويعتمد على هؤلاء الذين تنتقل معارفهم في مجال التقاليد والعادات والمهارات عبر الأجيال إلى بقية أفراد المجتمع او الى مجتمعات أخرى.

4- **تراث قائم على المجتمعات المحلية**، فهو لا يكون تراثاً إلاّ حين تسبغ عليه هذه الصفة الأطراف التي تنتج هذا التراث وتحافظ عليه وتنقله، أي المجتمعات المحلية أو الجماعات أو الأفراد، فمن غير اعتراف هؤلاء بتراثهم لا يمكن لأحد غيرهم أن يقرر بدلاً عنهم إن كان هذا الأمر أو ذاك يشكل جزءاً من تراثهم).[14]

[14]-منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، التراث الثقافي غير المادي، ص ص4-5، تمّ تصفح الرابط بتاريخ 2020/2/12 على الساعة 21:16، الموقع الالكتروني:
https://ich.unesco.org/doc/src/01851-AR.pdf